واقع المناهج التعليمية في الجزائرفي ظل التعددّ اللغوي.

La réalité des programmes scolaires en Algérie à la lumière du multilinguisme.

أ: مغيث زروقي ليلى.
جامعة حسيبة بن بوعلي .الشلف.
meghitzerroukileyla@gmail.com

الملخص:

تحيا اللغة العربية اجتماعيا، لأنها مستقرة في الطبائع تصوغ أفكار الانسان وتبصم طبائعه ومرجعيات كماتستلهم تجددهوتتيح أبعاده، وبهذا المخزون الثقافي للغة ما على العمق والتجذر مما يبقيها حية مقاومة ، وإن لم يستخدم في هذا المخزون بطريقة جيدة سيؤدي بطبيعة الحال إلى زوال هذه اللغة التي لطالما عاشت ظروف مرعبة جعلتها تختلط مع لغات أخرى فنجمت من ذلك لغات أخرى من اللغة العربية منها العامية واللهجات الأخرى التي تختلف باختلاف المتحدثين بها ، ويشكل سؤال اللغات العربية أكثر القضايا المركزية التي تحتل طبيعة الدراسات الثقافية وعلم السياسة الثقافي ، اللّسانيات وعلم اللغة التطبيقي ، ومن ذلك تكمن الأهمية الكبرى لسؤال اللغة في كيفية اختيار مجتمعات تعليمية لغته القومية في ظل التعدد اللغوي والتنوع اللغوي والتعدد الثقافي في القارة السمراء ، ومن البديهي من ذلك إفريقيا أكثر القارات التي تمتلك زخما ثقافيا لا متميزا ويختلف انتشار اللغات وعدد المتحدثين بها ، فبعض اللغات وعدد المتحدثين لها بالملايين منذ العصور .

الكلمات المفتاحية:

التعدّد اللغوي، التنوع اللغوي، مناهج التعليم. علم اللغة التطبيقي، الاختلاط اللغوي.

Rusume :

Vive la langue arabe socialement, parce qu'elle est stable dans la nature des idées de forme humaine et dans la nature de sa nature et de ses références comme inspirée par son renouveau et permet ses dimensions, et cet inventaire culturel d'une langue sur la profondeur et l'enracinement qui les maintient vivantes, Est utilisé dans ce stock dans le bon sens entraînera naturellement la disparition de cette langue, qui a longtemps vécu des conditions terribles qui le mélangeaient avec d'autres langues résultant d'autres langues de la langue arabe, y compris les dialectes familiers et autres qui varient selon les locuteurs. La question de la langue arabe est la principale La nature des études culturelles et des sciences politiques et culturelles, la linguistique et la linguistique appliquée, et la grande importance de demander à la langue comment choisir des communautés d'apprentissage de sa langue nationale à la lumière du multilinguisme, de la diversité linguistique et du multiculturalisme sur le continent, et Il est évident que l'Afrique est le continent le plus marqué par une impulsion culturelle distincte: l'étendue des langues et le nombre de locuteurs varient, certaines langues et le nombre de locuteurs s'étant passés à des millions de fois.

Mots-clés:

Multilinguisme, diversité linguistique, programmes d'enseignement.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

مقدمة:

اللغة تربط بين الفرد وغيره بين أفراد الجماعة اللغوية، فهي وسيلة للتعبير والتواصل والتفاهم و تبادل الآراء ولأفكار، ولولا اللغة لظل الإنسان بعيدا عن مجتمعه منفصلا عن الآخرين لا يدرك ما يحدث حوله من أحداث، ولا يسهم فيها ولا يتفاعل معها فيأخذ مجال الحياد،ومنه ساعدت اللغة على إثراء الفكر اللغوي والعقل كذلك، وتعدّ وسيلة للتواصل في خضم العلوم المعارف اختلافها وتنوعها ، وتنفرد من ذلك كل لغة بطريقة أدائها و أسلوب نظامها وطريقة تطبيق قواعدها.

إنّ من أهم وظائف اللغة هي عملية الاتصال مع أفراد المجتمع، ولابد لأي مجتمع بشري من لغة يسلكها حتى تسير الحياة طبيعية، صوتية أو غير صوتية كالرموز والاشارات وغيرها، هذا مفهوم اللغة بشكل عام وتقوم من ذلك اللغة على الأصوات اللغوية والإنسانية.

واللغات من ذلك على مرّ العصور لم تكن على وتيرة واحدة بل يعتريها ما يعتريها من تغير وتطور وبقاء واندثار لها أو لبعضها، وهذه سنة الحياة المتلازمة مع طبيعة البشر.

إنّ الواقع اللغوي الاجتماعي في الدول العربية يعرِف العديد من التحوّلات والتغيرات على المستوى اللسّاني من ازدواج لغوي إلى ثنائية لغوية ومنها صّراع لغوي ينتج عن تعدد لغوي بين وجود لهجات محلية ولغات متباينة فيما بينها تنموا مع الزمن فتشّكل بدلك تنوعات لغوية وتعدد لغوي يؤثر على الوضع الثقافي واللساني للفرد. وهذا الوضع اللغوي ينموا نتيجة مؤثرات ترجع أسبابه حسب تنوع المؤثرات والانقسام الدائم للغات واللهجات. التي نتوقع منها دائما والتعدّد.

ولقد ظهر في التاريخ اللغوي في مختلف أنحاء العالم أن الهجرات وقلة الصلة بين أبناء الجماعة اللغوية الواحدة قد أدى باللغة الواحدة إلى الانقسام إلى لهجات وحدث انقسام لهذه اللهجات بعد ذلك إلى لهجات أخرى وموضح في تاريخ العربية الارتباط بين العربية والإسلام ، فالقرآن الكريم نزل بلسان عربي مبين عامل الوحدة اللغوية ، وبذلك يستقر الازدواج اللغوي في المنطقة العربية بين لهجات عربية مختلفة ولغة فصيحة عامة [1]

وإنّ بمجرد العودة إلى التاريخ الجزائري قبل الاحتلال الفرنسي وبعده ، نلحظ أنه لا يوجد نظام رسمي قائم ، فنجد للمناهج التعليمية طابعها الذاتي بخضوعها لموروث ثقافي تقليدي يضم عدّة مؤسسات تعليمية كالك 17[كتّاب و الزوايا والمساجد وهذه المؤسسات ضمنت التعليم العربي التقليدي الذي كان ملما بكل جوانت المجتمع والذي شهد اختفاء في الفترة الاستعمارية ، ولكنه عاد بعد ذلك للحياة مجددا ، أي بعد الاستقلال مباشرة ، ولكن سياسة فرنسا لم يسلم أي قطاع من ظلمها وسياستها المستبدة لأجل ترسيخ ثقافتها للقضاء على الهوية والشخصية الجزائرية ومنه لم يسلم التعليم لأنه أساس بنا أي أمة كانت وهو أيضا الركيزة الأساسية لأي شعب .

فمن خلال ذلك عمدت فرنسا إلى استبدال التعليم الجزائري بالتعليم الفرنسي الذي يدعوا إلى طمس هوية الشعوب والقضاء على هويته التي يمارس بها تعليمه ، ولكنها اصطدمت بواقع لقى فيها التعليم الفاعل بين الأحداث التي عرفها المجتمع الجزائري من ثورات ومعارك امتدت من الشرق للغرب ومن الشمال للجنوب ، فتحديد التعليم عملية أساسية صعبة لا يتم تحقيقها وتحقيق أهدافها البيداغوجية إلاّ بنجاح التواصل الحقيقي بين طرفي العملية التعليمية المتمثلة في المعلم والمتعلم زيادة على ذلك وجود جهود خارجية تتمثل في الإدارية والاجتماعية .

تضاف لها جملة من العوامل المادية والنفسية التي كلما تحسنت ضمن التعليم نتيجة إيجابية في ترسيخ المعلومات للمتعلم وتحقيق الاستفادة منها والعكس من ذلك كلما كان هناك تقصي تحقق نتائج سلبية فيحدث التعليم الغير سليم وهذا ما شهده ويشهده التعليم ومناهجه في الجزائر .

وفي أطواره الثلاثة وهذا ليس بالشيء الجديد لأن المناهج التعليمية بعد الاستقلال حاولت جاهدة التملص من بقايا الاستعمار لكن محاولتها باءت بالفشل نظرا إلى أنه بقي التعليم تابعا للمستعمر الفرنسي وذاك مايظهر من خلال المؤسسات التعليمية التي تستمد مناهج تدريسها لمختلف العلوم على لغات أجنبيه على غرار لغتها الأم فيحدث بعد ذلك

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

اختلال في توصيل المعلومات وعليه تظهر عدّة إشكاليات ماهو حال التعدد اللغوي في المناهج التعليم الجزائرية وهل اقترانه يعود فقط للفترة الاستعمارية ؟

الواقع اللغوي في الجزائر:

الواقع اللغوي بعد الاحتلال:

نالت الجزائر استقلالها فتخلصت بذلك من الاستعمار السياسي الذي حكم الجزائر لعدّة سنوات حيث لم تسلم من ما جاءت به فرنسا ، ومع ذلك استطاعت فرنسا أن تحصد أضافة لذلك عدّة أشياء وهو القضاء على صفاء ونقاء اللّسان الجزائري ، ورغم ذلك ما استطاعت فرنسا أن تحصده إلا أنّها حاولت طمس الهوية الجزائرية وجعلها منتسبة لفرنسا[2].

والوضع الذي لا مفر منه أن الجزائر والجزائريين عاشوا الأمرّين من أعمال شنيعة للمستعمر في شتى المجلات ، وذلك يظهر جاليا في المدرسة الجزائرية وعلى لسّان المتعلم خاصة ، حيث نجد نظام تربوي قائم على التعدّد اللغوي أو بالأحرى تحدث لغات مختلفة على لسّان واحد إضافة إلى اللغة الفرنسية التي أقحمت نفسها بالقوة في لسّان الجزائري وأحدثت زعزعة على مستوى الألسنة ، فكانت مهمة فرنسا منذ البداية القضاء على مقومات الشخصية الجزائرية ولمَا لها من ثقافة ودين وتاريخ ووطن ، وهذا حال التعليم الذي أبان الحقبة الاستعمارية دفع الجزائريين إلى الوقوف موقف عداء للتعليم الممتزج باللغة الفرنسية[3].

ودفع الجزائريون الغالي والثمين لأجل الحفاظ على مقومات التوحد التي كانت تجمعة ولازالت توحده وتجعله يستطيع تحقيق التواصل مع غيره.

فقام ت الدولة الجزائرية في عهد الرئيس الراحل بومدين وهو ما اقترن اسمه بالإصلاح وخاصة في قطاع التعليمي لأن التعليم والعلم واللغة أساس بناء أية أمة تريد مواكبة المجتمعات التي سبقتها في التطور، فحاول الرئيس في تلك الفترة تكثيفالجهود التوسيع نطاق اللغة العربية في جميع المدارس الابتدائية وذلك من خلال تطبيق قانون التعريب (1971) الذي ينص على تعريب كل القطاعات والمؤسسات لا سيما قطاع التعليم وعمل على ذلك بالتدريج[4].

فقامت الجزائر بتعريب التعليم في المؤسسات الابتدائية وخاصة الابتدائي نظرا للأهمية التي يحتلها في البناء والتأسيس فعملوا على جعل كل مواد البرامج الدراسية مع تدريس اللغة العربية لأنها الأساس وبعد عمموه على الأقسام الباقية .

وقامت كذلك بإصدار قانون تعميم استعمال اللغة العربية الذي صدر عن البرلمان المجلس الشعبي الوطني يوم 27 كانون الأول ديسمبر من العام 1990 لكنه جمد بإصدار مرسوم تشريعي يقتضي بتجميد قانون يعمم استعمال اللغة العربية في تموز يوليو 1992، ثم ألغي التجميد بمرسوم أصدرته سنة 1996[5].

الواقع اللغوي الراهن:

واجه اللّسان العربي منذ القدم تحديات عديدة ، كالازدواجية التي تشير إلى تصارع مستويين لغويين ف اللّسان العربي ، الفصحى والعاميّة ، إضافة إلى الأمازيغية ولهجاتها من شاوية والقبائلية والترقية و الشلحية و الميزابين واللغة الفرنسية[6].

فالخريطة اللّسانية للجزائر توضح درجة استعمال اللغات وتباينها وعدم تماثلها ، فالسوق الشفوية تطغى عليها العامية ، وبذلك فهي تنافس العربية الفصحى والأمازيغية كذلك ممّا يوسع الاختلافات الموجودة بين اللهجات بين أنحاء الوطن و التراب الوطني . واللغة الفرنسية التي تعدّ اللغة الكلاسيكية في الجزائر التي تستعمل كثير عند النخبة المثقفة ، وقد قام رئيس المجلس الأعلى للغة العربية البروفيسور (صالح بلعيد) بتقسيم الوضع اللغوي في الجزائر إلى ثلاثة أقسام وهي :اللغات ذات الانتشار الواسع والمتمثلة في العاميات أو الدارجة العربية بمختلف أنواعها والتي تحتكم إلى قواسم مشتركة و أيضا اللغات المحلية الأمازيغية بمختلف تأديتها ولهجاتها واللغة العربية وهي اللغة العربية الفصحى واللغة الفرنسية وهذه الأنماط الواصفة للوضع اللغوي هي التي تجعل التعليم في الجزائر متخبط بين هذه اللغات[7].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومنه اللغات موجودة لتحقيق التخاطب و التعامل في الجزائر ينقسم إلى عاميّة عربية وعربية فصيحة.

إنّ الاعتراف بالتعدّدية اللغوية والثقافية والدينية والعرفية والإيديولوجية هو الحل الوحيد لكثير من الصّراعات والنزاعات[2]، ومن بين هذه التعدّديات يلعب التعدد اللغوي دورا رياديا في إنتاج الوعي الثقافي والتفاهم الدّولي وبالتالي تحقيق الاندماج اللغوي في المجتمعات الدولية.

التعدّد اللغويّ : (purilinguisme):

يعدّ التعدد اللغوي من الظواهر الطبيعية في المجتمعات، فهو عكس أحادي اللغة فهو دليل واضح على احتكاك اللغات وتواصلها وتختلف أسبابه بين اجتماعية وسياسية وإقتصادية وتاريخية ، ولكنه يبقى ظاهرة صحية في الواقع وورد ذلك في قوله تعالى " خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم إنّ في ذلك لآيات للعالمين "[8].

وهو عند الباحثين استعمال لغات عديدة داخل مؤسسة اجتماعية معينة أو بعبارة أخرى فإن التعدد اللغوي هو استعمال المتكلم لأكثر من نظام لغوي في المجتمع الواحد ، وإذا كان الأمر كذلك فإن التعدد اللغوي قد يصدق على الفرد كما يصدق على المجتمع الواحد فهو تعبير عن الوضعية اللّسانية المتميزة التعايش اللغوي للغات متباينة في بلد واحد على سبيل التساوي .

يعدّ مفهوم التعدّد اللغوي من الأدبيات اللّسانية اللغوية التواصلية، يظهر اختلاف اللغة المستعملة حسب الوضعية والسّياق إضافة إلى الحاجة والغاية والهدف ومنها يمكن التحدث بأكثر من نظامين لغويين، ومنه يحتوي على الأحادية اللغوية والثنائية اللغوية والازدواجية اللغوية، فعليه نجد الأحادية اللغوية نجد حضور مستوى من الأنظمة اللغوية وغياب الأنظمة اللغوية الأخرى؛لأن أغلبية مميزات لغات العالم تتميز بخاصية التعدد اللغوي، ورغم ذلك يبقى كل نظام لغوي يتميز بخصوصية دولة على أخرى . فالتعدد لغوي ويعني كذلك وجود أكثر من لغتين داخل المجتمع الواحد مثال ذلك المغرب الذي يوجد فيه تعدد لغوي متمثل في العربية والفرنسية ولغة المستعمر.

والتاريخ من ذلك يظهر قدرة اللغة العربية على استيعاب الأفكار الجديدة التي جاءت بها الشريعة الإسلامية ن من كفاءات واسعة في الترجمة من اللغات الاعجمية في العصر العباسي الأول، ولم توجد أية شكوى من المترجمين آنذاك، قصور الفصحى عن استيعاب الأفكار الفلسفية والعلمية التي كانت لمفكري السريان والإغريق والرومان وغيرهم[9].

فالتعدّد اللغويّمن ذلك هو وجود مجموعة من اللغات المستعملة، بدرجات متفاوتة ومن ذلك ما حصل لبلاد المغرب العربي حين تعددت العوامل كالفتح الإسلامي والغزو الإنساني والاستعمار الفرنسي، تداخلت اللغات بعضها ببعض فأدّى إلى تمازج اللغات فيما بينها وظهر التداخل اللغوي.

ومنه التعارف بين الدول يؤدي بالضرورة إلى تَفَتُّح كل لغة على غيرها، يكون الأم طواعية أو إكراها، فمعيشة العالم في ثورة تكنولوجية ومعلوماتية، هذا ما أدى إلى هيمنة ثقافية عالمية تُضَيّق الخناق على الثقافة الأصلية عند الأمم غير التابعة بالمفهوم الخلدوني، ولذلك تكرّس الجهود للانتباه على تحصين ثقافة اللغة الأم، لاستهلاكها والإنتاج بها، معرفيا وماديا، حتى لا تصاب بالضمور والانزواء والانكماش[10].

وهذا ما أعطى إلى البحث والإنتاج عن نقاط مركزية لا تستسلم للعولمة أو لحصار التعدد اللغوي الغير مدروس.

والجزائر تتميز لسّانيا بالتعدد اللغوي فهي تتضمن إلى جانب اللغة العربية والعاميّة اللغة الفرنسية والأمازيغية، وقد كان نتاج ذلك ظروف تاريخية قاهرة عاشتها الجزائر منذ معرفتها للغة، والملاحظ أن اللغة الجزائرية يعتريها الكثير من الغموض بيم المزاوجة مع اللغات الأخرى التي تغير من طبيعة اللغة الأصلية ،ومن ذلك تميّز الوضع اللغوي في بلادنا بالازدواجية اللغوية والتعدديّة والثنائيّة اللغويّة[11].

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

أسباب التعددّ اللغويّ:

تتنوع الدراسات الحديثة وتختلف مضامينها حول تعدد اللغات، أو تحوّل اللغات إلى لغات متعددة تعليلا آخر، إذ يرجعون انقسام اللغة إلى لغات إلى عوامل كثيرة منها:

ـ اتساع اللغة إلى أقاليم واسعة من الأرض بحيث تتعدد وتتشتت الوحدات اللغوية فتتشّعب اللغة إلىلهجات، وتأخذ كل لهجة سّماتخاصة تميزها من أخواتها ثم تنقلب اللهجة مع مرور الأيام إلى لغة مستقلة[12]

ومنه تتبع السّمات اللهجية التي تحول اللهجات إلى لغات من اتساع الأرض فقط، ولا من وجود حواجز طبيعية بين الناطقين بها، بل يؤثر فيها ضعف السلطة المركزية فإذا عجزت الحكومة عن الحفاظ على الوحدة راحت الدولة الكبرى تتحول إلى دويلاتومنها اللغة الأم إلى لهجات [13].

واضافة إلى تأثير الأرض والسياسة وتأثير الفروق الاجتماعية وتأثير العرق واللون والثقافة والدين ، ومنه يتم معرفة أن الانقسام واقع مرهون بعوامل تصنعه ، ومنه قوله تعالى " **ومن آياته خلق السموات والأرضواختلاف ألسنتكم و ألوانكم إن في ذلك لآيات للعالمين**"[14].

" **ولو شاء ربك لجعل النّاس أمة واحدة، ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك** "[15]. ومنه تعددااللغاتآية من الآيات ، حيث أحصى عدد اللغات في العالم إلى أكثر من 3000 لغة (ثلاث آلاف لغة) يستخدمون بعضها ويهملون البعض الآخر. وعليه يبقى تعدد اللغات سببالمن يحاولون علاجه بإنشاء لغة عالمية (اسبرانتو(esperanto) يتحدث بها النّاس جميعا[16].

ومنه اللغة لا تلبث بعد تداولها على الألسنة الخضوع لجميع اللغات الطبيعية التي مسّت اللغات منذ نشأتها الأولى، فاللغة تخضع لقوانين وقواعد التي خضعت لها لغات الطبيعية منذ بدايتها ومنذ أول لغة تكلم بها الإنسان.

وما يحدث حين امتلاك اللسان البشري عدّة لغات دفعة واحدة حدوث ما يسمى الصّراع اللغوي ممّا يولّد العديد من الصراعات التي قد تشمل الصوت والنحو والصرف والدلالة وهذا ما اكتسح في الآونة الأخيرة الحيز الأكبر من اللغات التي لطالما كانت ولا زالت تصارع للبقاء. والتاريخ القديم والحديث يوضحان ذلك.

ومنه كان من الممكن أن تتحرر اللغة العربية من مهمة طمس التعدد اللغوي في الجزائر خاصة بعد الاعتراف الرسمي باللغة الأمازيغية ولكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن في هذا الشتاء الذي ينذر بكثير من المفاجئات، فأمام فشل النخب المعرّبة في مهمة ترقية اللغة العربية وجعلها أداة من أدواة التقدم والتحرر ها هي تتحامل على اللغة الأمازيغية وتعمل على فرض مشروعها الفاشل على اللغة التي عملت كل ما في وسعها من أجل محوها من الوجود.

وإنّ الحملة الهوجاء لفرض الخط السرياني في كتابة اللغة الأمازيغية هو تعبير عن أزمة حضارية وثقافية تعيشها هذه النخب التي تصّر على فرض تصور المستشرقين في بناء الضفة الجنوبية من البحر المتوسط ضفة جنوبية تخلو من التعددية اللغوية والثقافية تحت غطاء الأمة العربيّة الواحدة والموحدة التي ابتكرتها مخابر الاستعمار لتغيير طابع الأمم وطمس مقوماتها التي أفشلت كل محاولاته في التحكم في أراضي تعيش شامخة ولو بدفع الثمن.

وما يلفت الانتباه في هذه النخب يتوزع على كل التيارات السياسية من جماعة العلماء المسلمين إلى الشيوعيين في الخبر إلى نشطاء الانتقال الديمقراطي ومن بين ومن بين الأدواة المستخدمة لجلب المثبتة إلى الجزائر هو إذكاء أحفاد هذا النظام الاستعماري أول من اختلقها وعمل النظام الوطني على استمرارهاوامتصاص تلك الهيمنة الاستعمارية العالمية.

ومنه نجد قول الزعيم الوطني حسين آيت أحمد " كنت أفضل الجزائر الربية على الجزائر الفرنسية وكنت على يقين أن الكثيرين يفضلون الجزائر الفرنسية على الجزائر الامازيغية "[17].

الواقع اللغوي في المغرب العربي الكبير (الجزائر ، المغرب ، تونس) يعيش المغرب العربي وضعا لغويا صعبا ومرا ، حيث تختلف فيه اللغات وتتعدد فيه اللهجات ، والحكم على ذلك بالتعدد والمرارة لا يرجع لكونه فقط واقع لغوي وإنّما هو عامل قوة كما هو الحال في بعض الدول مثلا ، بل على مخلفاته السلبية الفكرية والاجتماعية على ذلك المجتمع ، وذلك ما يتجلى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عند المجتمع المغاربي فلغته تكاد تكون سوق من اللغات تكاد تختلف تماما عن ما يتحدث به المشارقة وهم أيضا يعانون هذه المشكلة ، فإذا أردنا معرفة مكونات لغتنا نجد العربية بمختلف لهجاتها ، الامازيغية بمختلف لهجاتها ، الفرنسية و الإنجليزية التي فرضت وجودها ، وفي خضم هذا التعدد اللغوي يجد المغاربي نفسه أمام خليط من اللغات منها المستعملة ومنها المهملة فيتشتت تفكيره ويجهل انتماءه لأي لغة .

والتعدّد اللغويّ يجر أصحابه إلى مشاكل نجهل نهايتها رغم معرفتنا لبدايتها فيجدر إطلاق اسم التلوث اللغوي بدل التعدد اللغوي ، وأخطر مشكلة و من ذلك هي مشكلة الهوية التي لطالما ارتبطت بحياة الانسان ومستقبله ، والاتقان الغير واضح لهذه اللغات حتى للعربية نفسها التي هي أساس مجتمعنا وأصله ، وخير دليل على ذلك الدروس التي يتلاقاها الطلبة فعدم إتقانهم للتعبير الكتابي والكتابة الاملائية خاصة والشفوية؛ لأن اللغة العربية لا تستعمل بشكلها الفصيح ، ولا تكاد من ذلك تتفحص نماذجهم التعبيرية حتى تجدها مليئة بالأخطاء اللغوية ، ولذلك يتساءل العديد عن المتسبب في ذلك ، فيرجع أغلبهم ذلك إلى الاستعمار فرنسيا كان أم إنجليزي الذي نخر عقول المجتمعات وسعى جاهدا إلى فرنسة المجتمع المغاربي و خاصة الجزائر ، فقسّم المجتمع إلى معربين ومُفَرنْسين ومهمشين ...في مقابل ذلك دورنا في تهميش اللغة العربية كيف لا وذلك يحدث فقط في الجزائر رغم وجود العديد من الدول العربية تسعى إلى تعميم العربية حتى في استخدام العلوم ، ويحدث هذا الارتباك اللغوي في الجزائر ،ونحن نعرف أن اللغة العربية لغة رسمية ولكننا نستقبل المراسلات الإدارية باللغة الفرنسية ، ففي مجتمعات أوروبية يوجد التعدد اللغوي ولكن لم يحدث هذا الارتباك اللغوي والتلوث اللغوي ...إنّها ببساطة مجتمعات متحضرة تتقن فلسفة التعايش اللغوي ، فلسفة حسن التخطيط اللغوي ، فلسفة أهمية اللغة . وهذا ما لا يوجد في المجتمعات المغاربية.

ومنه مثّل التعدد العرقي واللغوي ظاهرة اجتماعية وثقافية وتاريخية قلّ ما يخلوا منها مجتمع، وتعرف بها الشعوب وتتميز بها الأقوام بمستوى حجمها وبقدر آثارها في الواقع من حيث انسجام المجتمع ووحدته أو انفصامه وتهديد تماسكه.

فاللغات المتداولة في الجزائر اللغة العربية تحتل منصب الصدارة نظرا إلى أنها لغة التعليم وتليها اللغة الأمازيغية التي هي اللغة الثانية والتي تدرس الآن في المدارس تليها اللغة الفرنسية التي هي لغة المستعمر التي قلّ استعمالها فقط في العلوم والمحادثات اليومية ومنه الخريطة اللغوية للجزائر تحتاج للتدقيق وإعادة التخطيط لأنه المجتمع الذي تعرض لمشاكل وأزمات خلخلت البناء اللغوي لأفراده بين ما هو عربي وما هو أمازيغي وفرنسي أيضا. والجزائر أخذت من أغلب الحضارات التي مرّت عليها ولكن الأكثر تأثيرا اللغة العربية تليها اللغة الفرنسية حيث أنها تدّرس في أغلب المدارس والجامعات، ومنه التخدد اللغوي في الجزائر كان نتيجة تنوع الحضارات التي مرّت على الجزائر ومن ذلك تشّكل صراع سياسي انعكس على اللغة المستعملة.

التعدد اللغوي و الازدواجية بين العامية والفصحى:

الازدواجية تكون بين العامية والفصحى لأنهما فصيلتان من لغة واحدة وكل لغة تنقسم إلى عامية وفصحى ، وعليه فإن الفارق بينهما فارق فرعي لا جذري ، والازدواجية الحقة هي التي تقوم على وجود لغتين مختلفي الروح والعبقرية بين العربية والفرنسية ، كما أن الازدواجية اللغوية عدو لدود للغة العربية الفصحى ، فهي تعيق تعلمها لدى الناشئة لكونهم يتعلمونها في بداية حياتهم لأنهم يصطدمون بواقع لغوي يدفعهم لا محالة إلى تعلم اللغة الفصحى التي يجدونها في التعليم كلغة أجنبية مثلها مثل اللغة الفرنسية وعلى ذلك تلجأ كثير من العائلات والمؤسسات التربية إلى تكثيف الجهود لبلوغ الأهداف المتوخاة و الحفاظ على لغتها بتكثيف ممارستها حتى في التواصل والتخاطب فيما بينهم ." كما أن التدريس بالعامية يجعل الناشئ يعيش حالة ازدواجية أو انفصاما لغويا، ويعاني من لغة تتصارع مع مولود لها معقّد التركيب أو مولود غير شرعي فلابد أن يوهنها صراعه ، لأنه يحتل مواقع مهمة في المجتمع وجوانب مختلفة من حياة الفرد " [18].ومنه تنعكس سلبيا بوجود تأثيرات سلبية على نفسية المتعلم تظهر من خلال مشواره الدراسي .

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالازدواجية هي التقاء لسّانين مختلفين قد يكونان من أسرة لسّانية واحدة أو من أسرتين لغويتين مختلفتين ، وتكون بذلك ظاهرة الازدواج اللغوي فردية أو جماعية ، والازدواجية مفروضة في الجزائر لأسباب تاريخية متعلقة بالاستعمار حيث ليس من الممكن التغلب عليها إلاّ بالتشجيع على دراسة الفصحى وتطورها ونشرها وجعلها لسّانا قادرا على التعبير عن احتياجات الفرد في مختلف المجالات ، ولقد عاشت منطقة العالم العربي خلال الفترة الأخيرة حملة على المناهج التعليمية قويا وشديدا ، وهذا الأمر لم يكن جديدا ، لأن الجزائر تعرضت لذلك منذ معرفتها للاستعمار ، وكلمة ازدواجية هي ترجمة للمصطلح الإنجليزي (diglossie) ومن تعريف (شارل فيرغسون) أنّها حالة مستقرة نسبيا ، تتمثل في وجود لهجات محكية إلى جانب مستوى رفيع ، ونمط منطقي عالي ، تنحرف عنه ب

درجات ومقادير وتكون نسبة كبيرة من المكتوب في تلك المستوى العالي (الفصيح) والذي يحتذي بجذوره في مرحلة مبكرة من اللغة و أدبها أو يحتذي حذو مجتمع لهجي ما فيس تلك اللغة تتعلمه فئات كبيرة من المجتمع وتستعمله في الأغراض الرسمية ، بينما تستعمل بيننا الفئات المختلطة (العاميّة) لأغراض الحياة اليومية "[19].

ومنه الازدواجية اللغوية هي ظاهرة تخص المجتمع الفرد نفسه وأن أي مجتمع كان يخلوا من الازدواجية سواء أثناء تعليمه أو حتى في تحقيق التواصل بين أفراده، وهي بذلك تشكّل العائق وراء تطور المناهج التعليمية والتعليم عامة، فهي إذن لغة الاستعمال اليومي أي لغة التواصل ، وتظل العامية دائما في اتصال كّونها ليست ظاهرة طارئة لا تقتصر على لغة واحدة بل تشمل كل اللغات حتى اللغات الحية .

لكن الدكتورة عائشة عبد الرحمان لاترى " أن الاستعمار استاغل هذه الظاهرة الطبيعية ليحارب الفصحى بلهجاتها المتعددة وقد وجد في اختلاف اللهجات الإقليمية ذريعة للقضاء على اللغة الواحدة المشتركة وقد سارت هذه الحملات في اتجاهين فمن ناحية تكشف عن جمود الفصحى وتعقدها وبداوتها وتخلفها عن حاجة العصر وتلقي عليها مسؤوالية تخلفنا وانحطاطنا ومن ناحية ثانية تدعوا العامية وتضيف إليها مزايا من الفصاحة والسهولة والمرونة وترى فيها الوسيلة لتثقيف جماهير الشعب وتعليم الأميين[20]. وبينما تحدث آخرون عن تأثيرات الازدواجية التأثير السلبي عن التأثير عن النفس والفكر في قوله " اللغة هي قالب الفكر ، فمن كان لديه الازدواج اللغوي فإنّه يفكر بمستوى لغوي معين غالبا ما يكون المستوى الذي لا يحتاج إلى عناء وهو العامي الذي يكثر الخطاب فيه وبعد أن يستقيم له الفكرة بقالبها العامي لا يحتاج تحويلها ألى قالبها الفصيح مكتوب إلى جهد فكري آخر ، وعوضا أن ينصب الجهد الفكري في المعنى ينصرف إلى الشكل الذي يظهر فيه المعنى[21].

فالازدواجية واقع يعيشه التعليم وراهن لا مفر منه وهي بحد ذاتها مشكلة لأتن طغيان العاميّة على الفصحى يوّلد عدّة مشاكل لأن العاميّة ليست منضبطة بقواعد كأختها الفصحى التي لا تلبث عبارة واحدة بقاعدة وهذا ما ياضح من خلال المستويات اللغوية .

وعلى ذلك مالقيته الشعوب العربية ليس بالأمر الهيّن الذي شهدوا في الفترة الاستعمارية تغيرات على مستوى النطق والكتابة وفي الجزائر بشكل خاص شبيهة بالفسيفساء ذات الوجوه المختلفة التي تصارع من أجل الحياة ، وعليه نجد (مصطفى العربي) يقول التفاعل المتعدد لغويا المترتب عن ذلك تتبعه تبعية في الواقع التي تحتل اللغات واللهجات ، ومن ذلك نجد المشهد الثقافي والاجتماعي نفسه متأثرا بما يعتبره بعضهم بمثابة تشويه للشخصية ، ويعتبره آخرون ضرورة خارجية المنشأ قادرة على تفجيرها كطاقات الحوافز و إبداعها الحضارة العربية الإسلامية ، فيما يعتبره آخرون قصري على درب التقديم[22].

فخلاصة الواقع اللغوي يعكسه التعليم في الفترات المتتابعة للاستعمار خلّف لغات ولهجات التي بنيّ عليهاالمجتمع الجزائريحضارته.

اللّسانيات التعليمية وعلاقتها بالتعليم:

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

لقد ساهمت اللّسانيات التداولية في إضافة الجديد للتعليم كونها تؤمن بأن التعليم ليس قائما على البنى اللغوية دون الممارسة الميدانية التي تسمح للمتعلم بالتعرف على على قيّم الأقوال وكميّات الكلام ، ودلا لات العبارات في مجالات استخدامها وأغراض المتكلم ومقاصده ، وعدّت البعد التدّاولي للغوة ممارسة واقعية لأخذ أهداف العملية التعليمية[23].

فالواقع اللغوي الذي يعكسه التعليم فمختلف الفترات تشير إلى وجود اختلاف ما بين اللغات واللهجات فنجد اللغة العربية الفصحى أو الكلاسيكية واللغة العربية الدارجة ، واللهجات المحلية القبائلية البربرية الشاوية الميزابية والترقية واللغة الفرنسية.

التعدّد اللغويّ في إفريقيا:

من الأشياء المُسَلَمْ بها بشكل عام هو أن اللغات الإنجليزية و الفرنسية و الاسبانية والبرتغالية هي لغات أوروبية وانتشار هذه اللغات في إفريقيا كان بسبب الاستعمار الأوروبي بإفريقيا وعملية فرض هذه اللغات على إفريقيا تزامن مع تهميش الإرث الثقافي للمجتمعات المحلية وإحلال الأوروبي الإمبريالي محله بينما نزوع حركات التحرر الوطني وبداية الاستقلال نجد أن هيمنة النموذج الأوروبي الاستعماري قد انحصر قليلا ، لكن واصلت اللغات الأوروبية هيمنتها وزحفها في إفريقيا ومؤشر هذه الهيمنة المستمرة هو الأعداد الهائلة من المؤلفات والكتب التي تُنْتَجُ بها المؤلفات باللغات الإفريقية المحلية ، وهذا الافتتان باللغات الأوروبية في إفريقيا هي جزء من عملية التطفل الإمبريالي لكن نجد أنها تلعب دور العمود الفقري في توحيد أقاليم إفريقية متباينة وذلك لأن هذه اللغات اكتسبت صفة لغات التواصل المشتركة في دول عديدة وهذا هو لغة هذه اللغات في التاريخ الثقافي الإفريقي ، فهذه اللغات عبارة عن أسلحة سياسية للوحدة فيما يخدم المجتمع وهي أداة ثقافية للسيطرة عليه كذلك .

ومن هذه التعقيدات يتضح أن ثبات هيمنة اللغات الأوروبية أحدث تأثير تضاربا بالبنية الثقافية لإفريقيا، قد يكون بسبب غياب نظام فلسفي إفريقي أصيل في الوقت الحاضر قد أدى استخدام لغات أجنبية في أنماط التفكير والعمليات الإجرائية المنطقية. ويقول الشاعر المصري ... " وكم عزّ أقوام بعزّ لغات" لتقوم للغة قائمة لا بد لها من وظيفة ثقافية وحضارية وأحيانا دينية [24].

ومن شروط تنمية اللغة الموّحدة: فرنسا تفرض لغتها بالقوة على شعبها، وتمنع إحياء اللغات القديمة لكنها نجحت في فرض التعدد اللغوي على المغرب ودول شمال إفريقيا وللتضيّيق على اللغة العربية، صنعت في مختبراتها بباريس حروف " تيفيناغ " كلغة الأمازيغية، فالأمازيغ يتكلمون عدّة لهجات، فمن هي الأمازيغية الذين يعترفون بها، فرنسا تريد تعليم المغارة لغة من اختراعها بمواقف الدولة والحركة الأمازيغية.

فاللغة باعتبارها " كائن حيّ يعيش مع الإنسان ويخضع لمختلف مظاهر التطور التي يمر بها الإنسان في بيئته، فأي تغيير أو تطور يطرأ على حياة ذلك الكائن البشري يجب أن ينعكس على لغته التي لا تنفصل عنه لحظة من زمان "[25].

وجاء على لسّان الزعيم الجزائري هواري بومدين " فيقول " لا مجال للمقاربة أو المفاضلة بين اللغة العربية و أي لغة أجنبية أخرى فرنسية أو إنجليزية؛ لأن الفرنسية كانت وستبقى مثلما بقيت في ظل الاستعمار لغة أجنبية لا لغة الجماهير الشعبية " [26].

فالأزمة اللغوية التي تعيشها المجتمعات الإفريقية نتيجة تعدد لغاتها واختلافها، تخلق مجموعة من المشاكل في تحقيق التواصل. ومنه ترجع مشكلة التعدد اللغوي في البلدان العربية إلى المشكلة اللغوية نفسها وهي مشكلة تشكل مخاطر كثيرة على العربية واللغات الأخرى ، ذلك أن العرب يتكلمون أن العرب يتكلمون لغات مختلفة ولو جهلوا فحواها ومحتواها " وبما أن اللغات واللهجات تعددت وتنوعت في العالم بأسره فقد أدى ذلك الاقتراض اللغوي والازدواجية والثنائية اللغوية وهو بدوره أدى إلى الاحتكاكات اللغويّة بين جملة هذه اللغات واللهجات مع تباينها في الاستعمال اللغوي المنطوق منه أو

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

المكتوب ، ممّا أدّى إلى تمازج اللغات فيما بينها وتغلغل الدخيل الأجنبي خاصة في عاميتنا وذلك ما أدى إلى طرح مشكلة التعددية اللغوية [27].

وإنّ محاولات تصنيف اللغات الإفريقية قد قاد الباحثين إلى تحديد مجموعة من العائلات اللغوية، فالمعايير الطوبوغرافية لهذا التصنيف اعتمدت على :

.وجود أصوات وطبيعتها وتراكيب الجمل، المقاطع الأحادية، النوع ...إلخ.

ونجد أن عملية التصنيف قد أنتجت مقاطع جديدة جدا فالباحثين الألمانيين في اللغات الإفريقيةو في نهاية القرن التاسع عشر طرحوا ثلاث عائلات لغوية أصيلة في إفريقيا ، السودانية ، الحامية والبانتوا، ، أما مجموعة اللغات السامية فتقف في زاوية تماس بين هذه المجموعات ، ولكل منها طبيعتها الخاصة ، وتراكيب اللغات وثيقة الصلة ببعضها البعض من جهة طريقة تراكيب اللغات ، وذلك لا يظهر جليا في التراكيب الداخلية ، فهذا التشكيل اللغوي والثقافي المتنوع في القارة الإفريقية إضافة للبنية المتمايزة التي تطغى على هذه اللغات[28] هو عامل مركزي في التاريخ الثقافي لإفريقيا .

وهذه التعقيدات اللغوية تبدوا تحديا كبيرا فيما يخص بناء إيقاع ثقافي موحد واختيار اللغة القومية لمجتمع ما ملئ بالتعدد الاثني والثقافي في إفريقيا. ومن بين العلماء الأمازيغ في إفريقيا وبالرغم من تعدد لغاتهم نجد:

الآلاف من العلماء المسلمين أمازيغ فمثلا: الزواوي والونشريسي وابن كثير و المالكي والمغيلي والسنوسي و التنسيوعبد الحميد بن باديس والتبسي والإبراهيمي والورثيلاني والشيخ اطفيش و بلكبير و آيت علجت ...إلخ ، وفصاحتهم بالعربية مضرب الأمثال ، وهذا غيض من فيض و ابن منظور صاحب معجم لسّان العرب ، وابن معطي الزواوي صاحب الألفية .

دور المتعلم في تحقيق العملية التعلمية:

تعدّ هذه العملية عملية تنظيمية للإجراءات التي يقوم بها المتعلم داخل حيز التعليم، وخاصة عند دراسة وعرض المادة الدراسية و التسلسل في شرحها، وعليه العملية التعليمية جوهرها عملية تنظيم المحتوى للمادة المدروسة وكثيرا ما تأخذ الشكل التسلسلي الهرمي وتحتوي على ثلاثة عناصر حول الفعل التربوي الذيّ ينشأ من مجموع العلاقات التفاعلية المتداخلة بين الأطراف .

1 .المعلموالمتعلم والمعرفة:

هو الشخص الذي يقوم بعملية التعليم ونقل الخبرات والمعلومات والمعارف وغيرها للمتعلمين ولا يقتصر دوره على المعرفة فقط بل يتعداه إلى دولا آخر مهم هو التربية الخلقيةوالروحية للمتعلمين وتهذيب سلوكاتهم.

فالمعلم نواة أساسية في العملية التعليمية بدونه لا يمكن توصيل المادة المعرفية للتلاميذ والطلبة. وكذلك ينبغي تحقيق المعرفة بالتدرج فيمفاهيمها ويطلق على هذه العناصر المجتمعة " المثلثالديداكتيكي " و " البيداغوجي " مع اختلاف بين العلماء حول مختلف العناصر حيث يرى البعض أولوية استبدال المناهج اللغوية في تدريس العربية وإقرانها بالمعرفة ذلك لأجل تنفيذ مكونات الفعل التربوي بكيفية تتيح للتلاميذ التعلم على أهداف معينة بالعملية البيداغوجية .

علاقة المتعلم بالمتعلم:

إنّ لأهمية هذه العلاقة ترتبط بالالتزام بما يخدم العملية التعليمية ويعمل على تنشيطها، وتعتبر العلاقات المنظمة بين مختلف أطراف الوضعية التعليمية ، فتحدد مكانة المعلم والمتعلم على الحد نفسه وينظم مختلف أشمال التفاعلات بينها وبين القطب المعرفي .

وتكمن علاقة المتعلم بالعلوم الأخرى للتربية صلة وثيقة بمختلف العلوم الإنسانية، لأنها تبحث عن مهمة الانسان وكيفية تعامله مع الآخرين ، ومن هذه العلوم البيداغوجيا والتعليم ، إذ يعتبران النواة الأساسية في تربية الأجيال ، ومن ذلك يتضح أن التعليم يرتبط بالعلوم الأخرى ويعمل على تربية الأجيال :

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن ذلك يتضح أن التعليم فيه ارتباط بالعلوم الأخرى التي تطمح لتطوير المجتمع وخلق علاقات بين الأفراد لأجل الخدمة الاجتماعية.

تنوع اللغة في التعليم الجزائري:

لقد عرفت الجزائر اللغة العربية في التعليم كاللغة الأساسية منذ زمن طويل إلاّ أنّها تتخللها اللهجات ضمن العاميّة أي لغو الشعب و التواصل ، إذ كانت البربرية اللهجة السائدة بعد الفتح الإسلامي انتقلت إلى شمال إفريقيا ، ولما دخل البربر الإسلام اختلطت لغتهم باللغة الفاتحين ، لغة الدين والتعامل ، فمن الطبيعي أن يصيب هذه اللغة أو اللهجة شيء من التغيير والتحريف ، لأن ألسنتهم لم تتعود على أصوات العربية وطرائق النطق والتعبير بها، وقد تعدى هذا الانحراف إلى العرب أنفسهم الذين تأثروا باللغة المستعمر ، إذا اللغة العربية يكتنفها التحريف واستحال مع مرور الزمن إلى لون لغوي خاص متميز في نطاق العربية الواسع ، يقول ابن جني " اعلم أن العرب تختلف أحوالهم في تلّقي الواحد منها لغة غيره ، فمنهم من يخف ويسرع فيقول ما يسمع ، ومنهم من إذا أطال تكرار لغة غيره ، فمنهم من يخف ويسرع فيقول ما يسمع ، ومنهم من يستعصم فيقيم على لغته البتة ومنهم من إذا أطال تكرار لغة غيره عليه ألصقت به ووجدت في كلامه "[29].

وهذا ما عرفته اللغة التعليمية في الجزائر من تأثير وتأثر باللغة المجاورة، وقد شهدت الجزائر غزاة من رومان ووندال وبيزنطيين وصولا إلى الاستعمار الفرنسي وكان لتأثيره على لغة الجزائري وكذلكالمتعلم أثناء ممارسة تعليمه ، وقد استمرت الاختلافات و الامتزاجات في اللغة وفي الظهور عبر كل جيل يحب تعلم لغته الصحيحة .

والحديث عن اللغة باعتبارها الكينونة الأكثر حضورا في الانسان لكثرةاستعماله لها " فلا سبيل إلى معرفة الأشياء إلاّ بتوسط اللغة [30].

وبما أن اللغة العربية تمثل الهوية اللغوية للأمة ومصدر عزتها فإنّ وجود التعدد اللغوي يحد من تطور التعليم لدى الطلاب في تحصيلهم العلمي ومن الضروري من الوزارات التدخل لحل مثل هكذا صعوبات لتحقيق الأهداف الحسنة و الجيد.

التعدّد اللغوي في التعليم الجزائر:

فيما يخص المسألة اللغوية في بلادنا تحتل اللغة العربية مكانة مرموقة لكونها لغة عظيمة وغنية ومن بين اللغات التي لها القدرة على التوطن والتطور خارج مجالها الأولي وهي بذلك اللغة الوحيدة التي تمتلك جهازا صرفيا (الأوزان الصرفية والاشتقاقية) يحوّل لها التكيف والإغراء وشمولية التفكير على كل مناحي الفكر والحياة ، لها أيضا التجربة ترجميه طويلة مكنتها من هضم المعارف والثقافات الأخرى بتعقيداتها ومفاهيمها ورقائق معانيها وتمثيلاتها الدينية و الفلسفية و الأسطورية ، لذلك فالعربية لغة حية واعدة صامدة قادرة على منافسة اللغات ، وتندلع من ذلك معركة لغوية بين اللغة العربية ولهاجاتها واللغات الأخرى.

تعدّد اللغات(multiguilisme)فهو إجادة أكثر من لغتين والقدرة على استخدامها بالتناوب في الاتصال اللغوي ، ومن ذلك فوجود التعدد اللغوي في اللسان يعود على حامليه من أفراد ومجتمعات ألى إعمال اللغات لتحقيق التواصل .

ومن ذلك فله شكلان التعدد اللغوي الفردي حيث يجيد الفرد أكثر من لغتين.

التعدد اللغوي في المجتمع هذا ما تمت دراسته وذلك لإبراز مكانة الأمة عند استخدامها لأكثر من لغتين، وأن يستخدم في المجتمع المعني بالتناوب ثلاث لغات أو أكثر في أداء الوظائف الاجتماعية، فقد يكون بعض الأفراد أحادي اللغة (أي يتحدثون لغة واحدة) أو يكونون ثنائي اللغة (أي لغتين فقط) ،أو يكونون متعددي اللغة (أي يتحدثون ثلاث لغات أو أكثر) . ومن أمثلة المجتمعات المتعددة اللغات المجتمع السوداني والجزائري وغيره من المجتمعات العربية نظرا للظروف التي عاشتها من استعمارات وحضارات مرّت عليها عبر أحقاب تاريخية.

والتاريخ من ذلك يوضح لنا ويرينا أن وجود التعدد اللغوي ليس بالأمر الحديث إنّما وجوده مرتبط بوجود الإنسان وسعيه لتحقيق التواصل مع الآخرين.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومن الباحثين من يشبّهون التعايش بين العُملة المحلية وهي اللغات أو اللهجات الأصلية لمجتمع ما، أكانت محكية أو مكتوبة، وبين العُملة العالمية مثل الدولار ويرمز هنا إلى اللغة المسيطرة، و إلى مدى تأثيرها على أفراد المجتمع التبادل والتوليد المعجمي أو خروج بعض الكلمات من الاستعمال.

ويتضح ذلك في كتاب " اللغات والاستعمار للويس جون كالفي "(1974) ، يتضح فيه كيف تفرض السلطة الحاكمة لغتها " الفصحى " وتعتبرها الأفضل في ترسيخ نفوذها وتأكيد مشروعيتها ، محتقرة بذلك سائر اللغات ومعتبرة إياها سجلات دونية ، لا تتوفر على نفس الخصائص التواصلية والجمالية ، وهذا ما يجري في مسار عولمة اللغات " الذي يرفع من شأن اللغات الكبرى ويعتبر ما عداها عملات لا تصّرف ولا يعتديها في سوق الفائدة والنقود.

وفي ذلك يقترح العديد من العلماء في إنقاذ اللغات واللهجات المستضعفة وذلك من خلال تشجيع التنوع اللغوي عبر تدريس لغتين بشكل آلي وتحقيق الاكتفاء اللغوي ، ضمن أي نظام تربوي وفي ذلك يشترك أفراد النسيج اللغوي ، فمن ذلك اللغات عبارة عن عملات تتدّاول في أسواق الألسن لتحقيق الفائدة من وجودها وهي بذلك تشكّل استعارة تمثل وضعية اللغات في العصر الحالي ، بعد أن أصبح العالم قرية واحدة تهيمن عليه لغة العولمة اللغوية الضاربة في كل أقطار العالم.

التاريخ العربي والتعدّد اللغوي:

" كيف تم طمس التاريخ العربي وعلاقته بالمشرق بعد "صهر " و " تمييع ".

إن التعدد اللغوي والاختلاف في الجزائر والذي تمثله كل من التارقيةوالميزابيةوالزواويةالشنوية والسنوسية والشاوية ... إلخ.

كل الباحثين في اللّسانيات قد أقروا وأكّدوا أن هذا الاختلاف والتعدد اللغوي ينتمي لمّل يسمى اللغات الشامية السامية (chamitosmitie) أو تسمية أخرى أفروآسيوي (afroasaitie) ، وكل الباحثين أكّدوا أن أصل اللهجات قد جاء من منطقة الشرق الأوسط نتيجة للهجرات المتتالية من تلك المنطقة لشمال إفريقيا ، وأكّد كذلك الباحتون أن أصل اللهجات من اللغات التالية (الفينيقية ، الآرامية ، الأكدية، الكلدانية ، النبطية ، و الدمشقية ... و هذا كله نتيجة الهجرات .

وإن الاختلافات اللغوية بين التارقية و الزواوية و الشاوية ماهي إلاّ مؤشرات لغوية تعكس ذلك التنوع العرقي والحضاري والثقافي بين تلك الأجناس والقبائل التي هاجرت من أرض كنعان وسوريا والعراق إلى أراضي شمال إفريقيا .وتبعا لهذا فإن كل عملية تمييع و إخضاع هذه اللهجات المختلفة تحت مسمى واحد وتحت مصطلح واحد " اللغة البربرية أو اللغة الأمازيغية " وتعتبر جريمة في حق الأصول المختلفة لهذه اللهجات ويسمى بذلك تمويها وطمسا للأصول العربية الشرقية (سورية ،عراقية ،آرامية ، فينيقية ، فارسية) للمغاربة الوافدين من الشرق الأوسط.

فكل الحروب والهجرات التي شهدتها دول شمال إفريقيا في أزمنة مختلفة كانت نتيجتها التعدد اللغوي والثقافي في منطقة شمال إفريقيا عامة وفي الجزائر خاصة، ولذلك ليس بالإمكان وضع هذا الثراء تحت هيمنة مصطلح واحد ولغة واحدة وتحت غطاء (اللغة البربرية اللغة الأمازيغية) .

فيالجزائر مثلا:

ـ لهجة جارحة واحدة محلية مغاربية سبب الوحدة السياسية التي استمرت في المغرب العربي لآلاف السنين.

ـ لهجات بربرية معزولة في بعض المناطق (14 لهجة).

ـ اللغة الرسمية هي العربية وهي قريبة جدا من اللهجة الدارجة من حيث النطق والأبجدية ومخارج الحروف وتشترك معها في الكثير من المسميات.

المزدوج عربي / فرنسي وعامي / فصيح، قصد إدماج الشعب الجزائري في الثقافة الفرنسية ومحو الشخصية العربية. ونجد أن أول مدرسة عام 1833 وسميت بمدرسة التعليم المتبادل l'enseignement mutuel وكلها مدارس ابتدائية لمعرفتها أنها هي الأساس في بناء ثقافة الشعوب. وكانت أول مدرسة لتعليم الجزائريين اللغة الفرنسية école arabe/français وكانت بالعاصمة وأخرى بعنابة مقسمة بين الذكور والإناث، وذلك لمنافسة التعليم العربي الإسلامي بالزوايا وقصد تقريب

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الجزائريين من الأوربيين الذين استوطنوا الجزائر. وهكذا تأسست المدارس العربية / الفرنسية وتمت السيطرة على التعليم الجزائري وكان كل هدفه القضاء على اللغة العربية واحلال مكانها اللغة الفرنسية كاللغة الأم وفي هذه النقطة نجد ألفرد رمبو (a.ranebeau) يقول " لقد انتهى الغزو الأول للجزائر الذي تم بالسلاح في 1871، بتهدئة منطقة القبائل ، ويتطلب الغزو الثاني حمل الأهالي لتقبل ادارتنا وقضائنا ، أما الغزو الثالث فسيتم بالمدرسة يجب أن تحقق المدرسة الفرنسية تفوق لغتنا على مختلف اللهجات المحلية وترسيخ في أذهان المسلمين عظمة فرنسا ودورها في العلم ، وتستبدل الجهل والأفكار المسبقة والمتعصبة بالمبادئ الأولية للعلم الأوروبي " [29]. وتعد من أبرز التحديات التي حافظ عليها الشعب الجزائري خلال فترات الاستعمار لأنها الأساس الذي كوّن منه المجتمع الجزائري هويته التي لطالما اعتبرت هي الأساس لبناء الأمة، فاللغة والدين عنصران مركزيان لأي ثقافة أو حضارة.

الهوية اللغوية واللهجات في الوظيفة التعليمية:

عند التحدث عن الهوية اللغوية، قضية المقصود باللغة فالفرنسيون يتكلمون كلهم لغة واحدة وهي الفرنسية ولكن الذي يميز لغتهم ثقافيا هو استعمال هذه اللغة ويظهر جليا أن اللهجة لها الأسبقية في تحديد هذا الانتماء هذا بالنسبة للهوية اللغوية الفرنسية.

أما الهوية اللغوية العربية فأسبقية العامية لا يمكن نكرانه وذلك لتعدد الأسباب فمرحلة التعلم للعامية تسبق غالبا مرحلة تعلم الفصحى وهذا ما يصعب العملية التعليمية وضبط المناهج.

قد يتعلم الفرد الفصحى ولكن هذا لم يمنعه من الانتماء إلى عروبة اللسّان واللهجة التي جبِل عليها. وهذا ما حدث للشعب الجزائري عندما حرِم من تعلم الفصحى وهو فعل استعماري مسّ بلدان المغرب، حيث كانت لغة التعليم والإدارة هي الفرنسية وحدها، ولكن هذا لم يكن مانعا من عروبة لسّان السكان. ومنه اللّسان العربي يبقى لدى الجماعة حتى وأن همشت الفصحى في أوطانهم وذلك لبقاء عتميهم التي تضمن ولو القليل من لغتهم الفصحى.

فالمناهج والبرامج السائدة حاليا انعكاسات واضحة على الواقع اللغوي الذّي يتجلى في كون المتعلم يقضي فترات طويلة في الدراسة دون الفهم وهذا يعود إلى اللغة المستخدمة فقد تكون حتما الازدواجية اللغوية.

تعليم اللغة الفرنسية للجزائريين في إطار التعليم:

إن الحقل اللغوي كلية في المغرب العربي وفي الجزائر بشكل خاص، شبيه بوجود تلك الفسيفساء ذات الأوجه المختلفة، حيث نجد اللغوي مصطفى العربي يقول في هذه الوضعية " التفاعل المتعدد لغويا المترتب عن ذلك يليه تبعية في المواقع التي تحتلها اللغات واللهجات، وذلك نجد المشهد الثقافي والاجتماعي نفسه متأثرا بما يعتبره بعضهم بمثابة تشويه للغة فاللغة كائن حي يؤثر ويتأثر بال اللغة إذ ليست مجرد أصوات تجعنا في شتى التبادلات لترسم لنا معنا ما، وروافد لغتنا اليومية كثيرة ومنها:

شخصية المتحدث وخلفيته الاجتماعية (البدوي والحضري) والعلمية التي تكمن في لغة المدّرس غير لغة الطبيب أو شيخ الجامع) وليس هنا اختلاف للمفردات) وليس هناك اختلاف المفردات فقط، حتى أن المدّرس يميل إلى شرح الأمور لمتعلميه ...كما لو كانوا فصلا دراسيا ... والشيخ يعظ حتى خارج المسجد.

ونجد في اللغة انعكاس للفكر فالتعليم يعكس شخصية المتعلم والتفكير المنفتح يّقر أن الرأي الصحيح يحتمل الخطأ وكذلك الرأي الخاطئ يحتمل الصواب. وهذا ما يترجم اللغة التي تصدر عن فراد المجتمع م ن حلال وضعيات مختلفة ، بينما اللغة التي تخرج عن العقل فإنها فصيحة لا تترك مجالا للحوار ، وهكذا اللغة العربية في كلتا الحالتين تخضع لما يسمى العقل ولكن تجد نفسها في اصطدام مع لهجة عامية تزاحم الفصحى في كونها هي الأساس في العملية الخطابية ذات المستوى العالي ،ممّا جعل اللغة في ازدواج لغوي دائم تستعمل فيها العامية للتواصل اليومي بينما تستعمل الفصحى فقط في الدراسات العلمية الأدبية ومختلف الثقافات إلا أن العامية حضورها بمحاذاة الفصحى

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فالقدرات الفكرية واللغوية للأفراد لمزدوجي اللغة قدرة مُضِاعفة ذلك لتمكنهم من الاتصال بمختلف فئات المجتمع وهذا ما تجسّد من خلال وجود فوارق اجتماعية ولغوية مختلفة، ولكن ورغم ذلك يبقى التواصل اللغوي يسهِل على مستعمل اللغة معرفة الآخرين من خلال استعمالهم للغة واحدة وكيفية السيطرة عليها مع القدرة كذلك على التعبير في مختلف المواقف باستعماله للغة حسب الاختيار والتحول من نظام كلامي إلى نظام لغوي بنقس القدرات دون اللجوء إلى البحث عن المترجمين.

فهذا ما يؤدي إلى التشابك في النظاماللغوي للفردوالجماعة وينعكس ذلك على المحيط الاجتماعي وإلى طريقة استعمالهللغتهحسبحاجته؛ أي بما تفتضيه الضرورة.

فاستعمال اللهجة العامية واللغة الفصحى يمنحان الفرد القدرة على التواصل وتحقيق القدرة على الاندماج في مختلف المجالات التيينتسب لها.

خاتمة :

وفي الأخير توصلنا إلى مجموعة من النتائج:

ـ إنّ المنهاج التعليمي المستخدم وثيقة بيداغوجية رسمية صادرة عن وزارة التربية الوطنية لتحديد الإطار الإجباري لتعليم مادة دراسية ما.

ـ لم يسلم عصر من العصور عبر التاريخ اللغوي من وجود مثل هكذا ظاهر أقلّت من محدودية اللغة الأصلية بتدخل لغات أخرى.

ـ الموافقة على وجود العامية أولغات أخرى على مستوى لسّان المتعلم يخلق نوع من الصراع الفكري على مستوى العقل البشري.

ـ وجود التعدد اللغوي على مستوى المناهج اللغوي تصّعب عملية الفهم للمتعلم مما يوّلد نوع من الاصطدام و متكونات لغوية غريبة وهجينة عن متعلم اللغة الأصلية .

ـ اختلال موازين الدول يعود إلى وجود مثل هكذا ظواهر فيلجأ المعلم والمربي إلى تحقيق التعايش بين اللغات حتى يتجنب الوقوع فيما يسمى بالصراع.

الهوامش:

[1] ينظر: اللغة العربية في العصر الحديث،محمود فهمي حجازي،القاهرة، مصر، د ط، د ت، ص 140.

[2] ينظر: شلوف حسن ، التعدد اللغوي والتخطيط اللغوي الجزائري بين الواقع والآفاق المرحلة الإبتدائية ، أعمال ملتقى حول التخطيط اللغوي ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، 2012، ج 1، ص 53.

[3] ينظر:المصدر نفسه ، ص 55.

[4] ينظر: سهاممادن ، الفصحى والعامية واستعمالاتها عند الناطقين الجزائريين ، مؤسسة كنوز الحكمة ، الجزائر ، 2011، ص 28.

[5] ينظر: ابن يحي طاهر ناعوس ، المشروع الوطني لتعميم استعمال اللغة العربية في الجزائر ، غيليزان ، الجزائر ، 2011، ص 2،3.

[6] ينظر: أحمد بناني ، حتمية التخطيط اللغوي لصيانة اللّسان العربي في الجزائر ، أعمال ملتقى حول التخطيط اللغوي ، المركز الجامعي تمنراست ، 2012، ج2،ص 26.

[7] ينظر: صالح بلعيد ، اللغة الأم والواقع اللغوي في الجزائر ، مجلة اللغة الأم ، دار هومة ، الجزائر ، 2009،ص 09.

[8] سورة الروم، الآية 22.

[9] ينظر: بحوث ومقالات في اللغة،رمضان عبد التواب،مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1995، ص 171.

[10] ينظر: اللغة العربية بين التعدد اللغوي والتفعيل المعرفي، ذهبية بورويس، جامعة الأمير عبد القادر، ص 5.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

[11] الاختلاف واضح بين الباحثين من العرب والغرب حول مصطلحي الازدواجية والثنائية، حيث هي الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح إلى أن الازدواجية هي العلاقة بين اللغة العربية واللغات الأخرى، والثنائية العلاقة بين اللغة العربية ولهجاتها.

[12] ينظر: في علم اللغة، غازي محمد طليمات، دار طلاس للترجمة والنشر، ط 2، 6 200، ص 58.

[13] ينظر: الخصائص، ابن جني،تحقيق: محمد علي النجار، القاهرة، ج 1، 1952، ص '41.

[14] سورة الروم، الآية 22.

[15] سورة هود، الآية 119،118.

[16] ينظر: علم اللغة،علي عبد الواحد وافي، دار النهضة، مصر، القاهرة، 1984، ص 78.

[17] Cercle des avocat de tiziouzou page info debates libres 26 يناير ، تيزي وزو ، 11: 42.

[18] ينظر: سعيدة كحيل، تدريس الترجمة بالمدرسة الجزائرية، قسم الترجمة، جامعة عنابة، مجلة الممارسات اللغوية ، 2010، ص 138.

[19] ينظر:سيجوانميجلومكاي ، وليم ف ، ، التعليم وثنائية اللغة ، ترجمة إبراهيم حمد الفقيد ، ومحمد عاطف مجاهد ، مطابع جامعة الملك سعود ، الرياش ، 1415 هـ ، ص 65.

[20] ينظر: أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية مصادرها ووسائل تنميتها، عالم المعرفة، العدد 212، ص 108.

[21] سمير ستيتية، ندوة الازدواجية في اللغة العربية، مجمع اللغة العربية الأردني، الجامعة الأردنية، ط 1، 1987، ص 122.

[22] Bloomfieldléonarde,langagecompotonspriting ,london ,1933.P45.

[23] Y VONNE TURINE AFFRONTEMENT CULTURAL DANS L'algériecolaniale ,maspero,paris,1971,p51 .

[24] ينظر: التعدد اللغوي كمعضلة ثقافية تونفيلا ما ستيليلا،منجد ياخوس، أستاذ الدراسات الإبداعية، جامعة بيتزر ، الولايات المتحدة الأمريكية .

[25] الفصحى في مواجهة التحديات، نذير محمد مكتبي، دار البشائر الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 1991، ص 13.

[26] علم اللغة الاجتماعي، كمال بشر،دار غريب للطباعة و النشر والتوزيع، القاهرة،1997، ص 27.

[27] ينظر: واقع الصحافة الجزائرية المكتوبة في ظل التعددية اللغوية "الخبر اليومي" و " الشروق اليومي " و " الجديد اليومي،ص 200.

[29] عبد الكريم غلاب، التعريب ودوره في تدعيم حركات التحرر بالمغرب العربي، في التعريب ودوره في تدعيم الوجود العربي والوحدة العربية ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1982، ض 153.194.

[30] FANNY COLONNA.instituteursalgéreins ,1883 ,1939 ,presse de la fondation de sceince politique ,paris , 1975.P40.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com